قصيدتا الحبيبة المكتومة الاسم والحبيبة الخفية – دراسة تحليلية.

د. شفيق الإسلام *

الملخص:

إن للشاعر القاضي نذر الإسلام (1899م-1976م) مكانة سامية في تاريخ الشعر البنغالي وتجديده. فهو أول من أعرض عن الحب الصوفي الذي أولع به الشعراء البنغاليون قبله بما فيهم الشاعر روبيندرنات تاكور (طاغور) ومال إلى الحب الجسدي فمجده وحاول أن يدرك حبيبه في حدود الأماني والشهوات. وهي سمة بارزة من سمات شعره تميزه عن شعراء البنغالية الآخرين. ويحتل حبه الجسدي هذا حيزا كبيرا من شعره. ولذا أحببنا أن ننقل بعض روائعه الشعرية من هذا الطراز الجديد إلى العربية. فقمنا بترجمة القصيدتين المعنونتين بـ"الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" ودراستهما التحليلية، وهما حلقتان مهمتان من السلسلة الطويلة لقصائده من هذا النوع. والجدير بالذكر هنا تركت فراغات بين مقاطع القصيدتين المترجمتين كما وجدناها في الأصل البنغالي.

.

الكلمات المفتاحية: نذر الإسلام، شمس النهار، الحبيب المكتومة الاسم، الحبيب الخفية، الشعر البنغالي

القاضي نذر الإسلام

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية البنات الحكومية العامة للبكالوريوس، كولكاتا، الهند الإيميل: shafiqjnu@gmail.com

تقديم:

إن الشاعر القاضي نذر الإسلام لا يؤمن بالحب الصوفي، بل يؤمن بالحب الجسدي للمرأة. ويظهر إيمانه هذا في كثير من قصائده في الحب والطبيعة، ومنها "الحبيبة المكتومة الاسم". يمجد فيها الشاعر امرأة متصفة بجميع الخصال المحمودة ويحبها. ولكن المشكلة أنها لا تقترب منه ليتبادل الاثنان الحب. وهذا ما يجعله مضطرب الحال قلق البال. ونجد نفس المعنى في قصيدة "الحبيب الخفية" ولكن بكلمات وتعبيرات مختلفة. فتدل هذه القصيدة على أن لدى حبيب الشاعر أحاسيس حارة تجاهه، ولكن لا يمكن الحب الصريح بسبب النظم الاجتماعية، والعادات والتقاليد التي لا تسمح باللقاء، والكلام والتعارف بينهما.

تعريف القاضي نذر الإسلام:

إن القاضي نذر الإسلام من أشهر شعراء البنغالية ومن أساطين الشعر البنغالي الرومانسي. و"القاضي" نسبة إلى آبائه الذين كانوا يعملون قضاة في العصر المغولي. ولد نذر الإسلام في 24 مايو، 1899 في تُشوروليا ببوردُمان في الهند البريطانية وبوردمان إحدى مديريات غرب البنغال الآن. تلقى التعليم الأولي في كتاب قريته ثم درس في المدارس الحكومية إلى الصف الثامن. بعد ذلك ترك التعليم وانضم إلى الجيش الإنجليزي في الهند. ثم فقد الوظيفة. وبعد ذلك، بدأ يكتب قصائد ثورية ضد الاستعمار البريطاني في الهند، فلقب بـ"شاعر الثورة". استمرت مسيرته الشعرية إلى سنة 1942 عندما أصيب بداء عضال تسبب في فقد صوته. ولم يزل حاله كذلك حتى توفي في 29 أغسطس، سنة 1976 ببنغلاديش.

أشهر آثاره:

من أهم مجموعات نذر الإسلام الشعرية: المزمار الناري (1922)، وتشايانوت (1925 تقريبا)، والشنبق المتدلي (1923)، واضطراب البحر (1928 تقريبا) والمختارات (1928)، والنحام (1929 تقريبا) والمزمار السام (1924). ومن أشهر نصوصه المترجمة نظما: رباعيات حافظ (1930)، وترجمة جزء عمّا يتساءلون نظما ورباعيات عمر خيام. [1]

تعريف قصيدتي "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية":

الآن نود أن نعرف قصيدتي "الحبيب المكتومة الاسم" (وَنامِيكا/ (অ-নামিকা المقروضة في اليوم السابع من شهر يوليو سنة 1926 و "الحبيب الخفية" (غوفونْ بريا / গোপন প্রিয়া)" المقروضة في 28 من شهر يوليو سنة 1926م، المدرجتين في مجموعة اضطراب البحر، ليسهل فهمهما، فنقول:

إن نذر الإسلام سكن بلدة كِرِيشْنُونُغورْ من أوائل 1926م إلى نهاية 1928م. سافر إلى تشيتاغونغ في شهر يوليو من 1926، ونشأ هناك الود بينه وبين السيد حبيب الله بهار والسيدة شمس النهار محمود. ورحل إلى داكا رحلتين متتابعتين في فبراير من 1927 و1928. ثم سافر إلى شيتاغونغ عام 1928 مرة أخرى. بالإضافة إلى قرضه الأغاني، أنشأ قصائد ذاتية أثناء سكنه وإقامته بكريشنو نوغورْ، وتشيتاغونغ، وكلكتا (كولكاتا الآن) وداكا. استخدم نذر الإسلام الحبَ والطبيعةَ في هذه القصائد وسليتين للتعبير عن عواطفه الجياشة المفرطة. وتظهر هذه العواطف المدركة بالحواس في كثير من قصائده الواردة في مجموعتي اضطراب البحر (سِنْدُهُو-هِنْدولْ) (ط. 1928) و النحام (تُشُوْكْرُباكْ) (ط. 1929)، ومنها قصيدتا "الحبيب المكتومة الاسم" و"الحبيب الخفية".

والجدير بالذكر أن نذر الإسلام، في قصائده في الحب والطبيعة، ليس مسافرا دون غرض إلى الجميلة المثالية ذات الأسرار غير ذات الجسد المدرك جمالها بمجرد القلب أو إلى إلهة الحياة، مثل روبِيْنْدْرُناثْ تاكورْ (طاغور)، بل إنه يبكي على فراق حبيبه ويشكو هذا البين وهو يشتاق إلى حبيبه المثالية التي يفضل أن لا يذكر اسمها لسبب ما، كما يحن إلى أن يجدها جسديا وداخل خط الأماني والشهوات الدائري المحدود. ويشبه سعيه هذا محاولة معاينة الشاعر *البوئسنوبي* الشيء العديم الشكل وقلقه للظفر باللامحدود داخل الحدود. وعلاوة على ذلك، ظهرت أيضا علاقات المداعبة بين الشاعر وخليلته في حياة الأماني والشهوات في شعره الحبي. نلمح ذلك التململ في قصيدة "الحبيب المكتومة الاسم".

نكتب فيما يلي خلفية قصيدتي "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" لتتضح معانيهما ويسهل فهمهما على القراء.

خلفية القصيدتين:

كتب نذر الإسلام قصيدتيه "الحبيبة المكتومة الاسم" و"الحبيبة الخفية" في سفره إلى شيتاغونغ عام 1926م. ومما يذكر أنه قبل في ذلك السفر قِرَى حبيب الله بهار وشمس النهار الأخ والأخت، وفي منزلهما قُرضت هاتان القصيدتان. ومن الجدير بالذكر هنا أن نذر الإسلام كتب في رسالة إهداء كتابه "اضطراب البحر" إلى حبيب الله بهار وشمس النهار في 31 من يوليو، عام 1926م ما يلي:

أهديت كتاباتي هذه إلى

"بهار" و"نهار".

أيكما أفضل!

هات بستان الأزهار، يا "بَهار" وهاتي بالضياء، يا "نهار".

توجد الحياة الخضراء بابتلال الأرض من المطر عند مجيء "بهار"،

ويخرج النور الساطع شاقا ظلام الليل عند قدوم "نهار" [2].

تلقى نذر الإسلام بعد إيابه من شيتاغونغ إلى كريشنونغور رسالتين كتبتهما شمس النهار. كانت الرسالتان مكتوبتين إلى زوجة الأخ السيدة بُروميلا نذر الإسلام، إلا أن شمس النهار كتبتهما في الواقع قاصدة نذر الإسلام. ويكشف رد الشاعر على تينك الرقعتين من كريشنونغور عن "الحبيب الخفية" و"الحبيب المكتومة الاسم". والرسالة كما يلي:

"لم استحي من أي شيء عند كتابة الرسالة إليك، ولم أحتج إلى الحياء؛ لأنك فتاة وأختي. ولم أظن عند كتابة الرسالة إليك أن رجلا يكتب رسالة إلى امرأة. فاعتبريها رسالة شاعر إلى امرأة توقره... لعل بوسعي أن أفَتِّح أزاهير قلبك، ولكن كيف يمكنني فتح مزلاج الباب؟ لم أسئ الظن بك إذ لم تستطيعي أن تظهري أمامي؛ لأني رأيتك وأريد أن أراك بواسطة كتاباتي. وذلك هو الرؤية الحق ... طُلب مني منشأ قصيدتي، فسأبين كل ما أعلم من أخباره" [3].

مجمّع غِريسْ كوتيجْ بكريشنو نغور بغرب البنغال حيث سكن الشاعر من 1926 إلى 1928

الحبيبة المكتومة الاسم

أنا أمجدك، يا خليلتي في الحلم.

أي صديقتي الغائبة،

المولدة في صدر الوجدان عطش الحرمان!

أنا أمجدك...

يا فاتنة قلبي،

يا فتاة ذات الشباب الدائم، وصاحبة أمانيي الخالدة!

أنا أمجدك...

يا من لا أعرف اسمها ولم تزرني بعد،

إليك تمجيدي ومحبتي ...

يمجد الشاعر في الأبيات المذكورة أعلاه خليلته الحلمية وحبيبته الغائبة التي "تولد عطش الحرمان" في نفس الشاعر. و"فاتنة قلب الشاعر" هذه حبيبته الخالدة و"فتاة ذات الشباب الدائم". أما قول الشاعر إنه لا يعرف اسمها فهو ليس بصحيح وواقعي. ومثل هذه الأقوال الخيالية وغير الواقعية من أبرز سمات الرومانسية.

أيتها السائرة في الخفاء، أي حبيبتي الخالدة!

ما زلتِ جالسة خلف ستار بكائي وأمانيي منذ بدء الخلق، ولم تظهري أمامي جسديا.

ولم يضئ مصباح خيرك

بيتي المظلم ذا السياج.

يا غير المحدودة! لمّا تأتي داخل الحدود.

صادفتك وضيعتك في المنام مرارا.

ويتألم الشاعر؛ لأن هذه الامرأة اللامحدودة المتخفية لا تقع في يده جسديا داخل الخط الدائري المحدود وإنما تظهر أمامه في المنام.

أيتها العديمة الشكل! حللت بقلبي كرُوتي إلهة الحب

ولم تأتي بيتي زوجة وفية متفانية.

جئتني رفيقة الغرام،

ولم تصلي إلى شفتي رفيقة حياة.

ظللت خفية في جوف العنب، أيتها الخمر اللذيذة،

ولم تنصبّي في الصحن!

"اخلعي الحجاب"

تصيح رغباتي الجامحة بهذه الكلمات!

أيتها النائية! اسكني بعيدة عني – وأحبيني –

ولا تقربي مني.

لست نورا مطفأ ولا لهبا.

أنت سراب،

أنت ضياء.

ما زلت أحييك في ميلاداتي جمعاء وفي هذه الدنيا والعوالم الأخرى.

ولا أزال أحييك في ميلاد واحد تكرارا (كما يحيي هندوسي تمثال إلهه أو إلهته بالتلويح بيديه أو مصباحه أو نحو ذلك أمام وجهه أو وجهها).

لا تقع هذه "النائية" في يد الشاعر جسديا؛ ولذا تبدو له "سرابا" و"ضياء". ولكنه يعبدها بطريقة هندوسية خاصة وهي أن يُحيِّي تلك الحبيب "النائية" في ميلادات وعوالم متعددة حتى مئات المرات في ميلاد واحد، كما يحيي هندوسي تمثال إله أو إلهة بالتلويح بيديه أو مصباحه أو نحو ذلك أمام وجهه.

هنالك رأيت الشكل فمجدته متصورا إياك، يا حبيبتي!

تفقدتك في كل شكل، أيتها البديعة الخلق!

ويزيد الهواء قدر ما أرفع ستاره!

طلعت مثل قوس ملك الآلهة إيتذرو تكرارا،

يا حورية الهواء

يا حبيبتي الساحرة القلب!

كلما سعيت لأن آخذك، امتزجت بالأفق البعيد.

يا عقيلتي المؤلمة، لم تأتيني مكلمة.

أيتها الحبيبة البعيدة التي لا تقربني أبدا!

ينقلني أملي المفرط أن أجدك جسديا،

من كوكب إلى آخر!

وبسبب الرغبات الشديدة في اللقاء،

أولَد في عوالم مختلفة!

أحس في صدري المضطرب جوع الشباب لم يخمد

والرغبات العنيفة،

فأولد مرة بعد أخرى

وأدعو الله؛ لأني لم أظفر بك بعد ...

ولكن بالرغم من البحث عن هذه "البديعة الخلق" في كل شكل، لم تحضر تلك "العقيلة المؤلمة" أمام الشاعر "مكلمة". فجعله "ألم عدم الوجدان" هذا، مضطرب الحال وقلق البال. ولذا تسمع تنهدات "جوع الشباب غير المخمد" و"الرغبات العنيفة" في هذه القصيدة وكذلك في كل موضع من قصائده في الحب. وليست صورة الفراق في مثل هذه القصائد هادئة، بل إنها مضطربة. ولم يظهر الألم النفسي فقط لعدم الوجدان، بل ظهر الوجع الجسدي أيضا؛ ويمتد هذا الألم على كواكب عديدة، وعوالم كثيرة وميلادات شتى.

كل ما قبّلته بعدما استجملته

وكل ما جمّلته بعدما قبلته؛

أخال أني شعرت باهتزازك بين كل أولئك!

ولمست شفتيك رويدا رويدا،

يا تِلْتُّما الجميلة المثالية!

كثيرا ما قبّلتك في شفاه كل فتاة!

سرا وعلنا.

كل من قبل عشيقته ساهرا الليل،

وفي صباحه وهو نعسان من السهر؛

أخال أني لثمت شفتيك معهم

وفي شفاه أحبتهم أجمعين، يا خليلتي الممتازة من بين جميع الخليلات!

تنشأ شهوتي مع شهوات النجم، والشجر، والطير والدواب جميعا ـ فشهوتي جزء من شهوة الكائنات!

يخيل إلى الشاعر أن حبيبه لم يظفر بها ولم تبق في متناول يده على أي حال، فيشعر بوجودها في أشكال وأجساد كل النساء. إنه يعبد الجمال لعدم تحقق أمانيه. وتتولد شهواته مع النجم، والشجر، والدواب والطيور والكائنات الأخرى. وتعبيره عن هذه الأحاسيس تلقائي وعفوي.

إن الذين حرموا من العشق، والذين يتمتعون بالاتصال الجنسي؛

أنا معهم جميعا وأنا أمنح جميعهم قوة الحب!

يومَ أحس خالق البرية شهوة الكائنات الجنسية الأولى،

في ذلك اليوم ولدتِ وولدتُ من خالق الكائنات.

فأصبحتُ كامْ، وأصبحتِ زوجه روتي؛

ولذا توجد قوتنا المدهشة في الحب والشهوة في صدور الشبان والشابات دوما.

ما أنت؟ وما لست أنت؟ كم أفكر في هذا الأمر، وإلى كم جانب أنظر!

هل بحثت عنك في كل اسم دون جدوى، يا غير مذكورة الاسم؟

وهل أحببتك بلا سبب؟ وهل يحبني عدم الجدوى فقط؟

فينفلت من يدي كل من أضمها إلى صدري متصورا أنها أنت!

أسفي على أسفي! هل يوجد أحد مثلي، ولمَ يذوب قلبي؟

والتي أحببتها، يحبها سرا من هو أفضل منها.

أخال أنه أجمل وأحلى!

في صدر عقيلتي أنت تضحكين عروسا لي.

آه! أنت تبكين وحيدة غير مظفور بها في صدر وفراش من تتوفر في صدري،

يا ضرة عشيقتي ...

وجدتها تكرارا، ولكن أخال أن قلبي يقول:

كلا، ليست هذه تلك!

يا ضباب! أين أنت؟ ومتى أقدر على لقائك؟

هل كنت ولدت في الزمن الغابر؟ أم ولدت في الزمن الحاضر؟ أم ستولدين؟

تكلمي، تكلمي يا حبيبتي،

يا مولدة ظمأ الحرمان في نفسي في كل عصر!

أخال أنك لن تتكلمي اليوم.

إن نفس الشاعر مليئة بالمشاعر، ولكنه لسوء الحظ غير قادر على الظفر بحبيبته. فيأسف على ذلك أسفا شديدا ويعي أنه لا تتحقق أماني المحب دائما.

الحب حق وخالد؛ وأظن أن إناءه ليس خالدا.

الشجرة التي خلقت من بذر الشهوات،

وسط الشهوات نفسها لا تزال تكبر شجرة الشهوات الإلهية نفسها.

تقوم أفنانها بحملات إلى جوانب شتى،

كأنها ستمتص كل هواء السماء وحياتها.

وغطت أجنحة إوز الشهوات الخضراء السماءَ!

وبالحبيب "المولدة عطش الحرمان في كل عصر"، أدرك القاضي نذر الإسلام أن "الحب حق وخالد" ولكن "إناء الحب ليس خالدا".

الحب حق، وأوعيته متعددة لا تحصى؛

ولذا آمل أن أجدها في صدري، ومع ذلك يبكي قلبي ولماذا؟

الخمر حق ولكن دنها ليس بحق؛

وإنما يسكر الدن الذي تصب فيه الخمر وتشرب!

يا خليلتي الأبدية!

عجبا! عرفتك بعد هذه المدة الطويلة!

ففي حبي أنت تكمنين؛

وعبثا بكيتك في كل ميلادي وبذلت الجهد الجهيد في طلبك.

أيتها العديمة المثال، أنت تدعينني بجميع أشكالك،

قد عرفتك؛

فالتي سأحبها هي أنت؛

فهل تقعين في يدي!

الحب واحد، والأحبة كثيرات،

سأشرب ذلك الحب بعد صبه في دنان عديدة،

تلك الصهباء الشبيهة الدم.

سأشربك، يا مكتومة الاسم، بمئات الرغبات:

أحيانا في أكواب وأباريق، وأحيانا في الجفان! [4]

ومن خلال الوعي المذكور أعلاه استنتج الشاعر في المقطع الأخير أن "الحب حق وأوعيته متعددة لا تحصى". ويجد الشاعر الحب الخالد أثناء بحثه عن الحب الفاني. فيعلن الشاعر في نهاية القصيدة التي ذكرنا عنوانها أعلاه، عزمه على شرب حبيبه التي لم يذكر اسمها "في مئات الشهوات، وفي أكواب، وأباريق وجفان". ومعنى ذلك أنه رغم علم الشاعر الشكل الحقيقي للحب الخالد، لا يحاول وضعه فوق الأماني والشهوات. فعبادة الأماني الحمراء موفورة في قصائد نذر الإسلام في الحب.

شيتاغونغ،

26/7/27

نبذة عن القصيدة:

تأملوا في هذه القصيدة، كيف تصبح الحبيبة النائية والشبيهة بالضباب والتي لا تدخل الخط الدائري المحدود للأماني والشهوات أبدا، جميلة ومثالية يحس بها الشاعر كخليلة ممتازة من بين خليلاته جمعاء ويحس بوجودها فيهن. ولا شك في أن عناية الشاعر بالأماني الحمراء من قبيل الوعي الشخصي: وهو إحساس إنساني في آدمي من اللحم والدم. والجدير بالذكر هنا أن الشعراء البنغاليين الذين عاصروا نذر الإسلام والذين سبقوه، كانت تحكمهم القوانين الخلقية في الأدب، فكانوا يستحيون من أمور ويترددون في التعبير عن أشياء في قصائدهم في الحب. أما نذر الإسلام فلا يوجد ذلك التردد والخجل في قصائده الحبية، بل يلحظ فيها عدم الخجل الصريح والتعبير الجامح عن عواطف الحب القلبي والجسدي. وبذلك حرر نذر الإسلام شعر الحب البنغالي الحديث من النظام الخلقي للطبقة الوسطى البنغالية.

القاضي نذر الإسلام يعزف على سِتار

تدل هذه القصيدة على ان نذر الإسلام لا يؤمن بالحب الصوفي غير الجسدي ولا يولع به خلافا لشعراء كثيرين أمثال روبيندرنات تاكور وابن الرومي. وتتسم القصيدة بالتعبير عن العواطف المفرطة الجياشة غير الملجمة، الذي يتسم به كلام الشعراء الرومانسيين بشكل عام. والقاضي نذر الإسلام من الشعراء البنغاليين القلائل الذين لعبوا دورا مهما في تطوير الشعر الرومانسي البنغالي. ولا شك في أن هذه القصيدة إحدى أروع القصائد البنغالية والعربية في الحب. قد قام فيها الشاعر بتصوير حب المرأة بطريقة منفردة تميزها عن كثير من قصائد الحب في اللغتين البنغالية والعربية.

والجدير بالذكر أن هذه القصيدة يصعب شرحها بالطريقة الواقعية؛ لأنها من قبيل الشعر الرومانسي والرومانسية مبنية على الخيال وعدم الواقعية وأمور أخرى.

الحبيبة الخفية

ما زلت أحبك، لأني لم أظفر بك بعد، يا ملكتي!

بيننا بحر ونحن نتهامس من شاطئيه.

أنا على شاطئ وأنت على شاطئ آخر،

وبينهما يبكي خضم الصدود،

لوِّحي لي، أيتها الشجرة المظلة، من ذلك الشاطئ،

فأنا صحراء لا أجد متعة ظلالك.

نحن صديقان سمع كلانا اسم الآخر،

ولم نتعارف بعد.

صدري يتموج بالأمل وصدرك يملأه الخوف!

تضرب أمواج هذا الشاطئ المتولدة من الرياح والأمطار قدميك،

بيد أن أمواجي لم تَقْوَ على أن تجرف ضفتك،

فتأكلت الضفة في جانبي ولم تتحت في جانبك!

تعرفت عليك، يا حبيبي ولم يمكنّي أن أعلمك كثيرا.

إن أسلوب هذه القصيدة مخالف قليلا للقصيدة السابقة. فرغم كون الحبيب فيها "غير مذكورة الاسم"، هي ليست ذات الأسرار، أو "سرابا" أو "نائية". بل هي قريبة من الشاعر قلبا رغم بعدها جسدا بسبب الصدود الناتج عن النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد: وهو عدم إمكان اللقاء، والكلام والتعارف. فيعلم الشاعر اسم هذه "الحبيبة الخفية" ولكنها مجهولة وغير متعارفة في هذه القصيدة.

قد سبق أن قلنا إن الشعر الرومانسي مبني على الخيال وعدم الواقعية، والرومانسيون يفضلون العاطفة على العقل، فلا يمكن شرح الشعر الرومانسي بالطريقة الواقعية وعلى أساس المنطق. فبيت " بيننا بحر ونحن نتهامس من شاطئيه " لا يمكن تفسيره على اساس الواقع؛ لأن التهامس لا يمكن أن يقع بين شخصين وهما في شاطئي بحر مختلفين.

فكنتُ طائرا مغردا جلس على الفنن يومين.

سأهجره يوم تنفد الأغاني؛

وإياها تذكرين.

لن يوجد الطائر حينذاك؛ ويبقى صوته فقط!

سأطير أنا وتبكين أنت في رمال الآلام!

متى سُمِع صوت أمواج شاطئي في قدميك، أيتها المجهولة! لا يعلم أحد ذلك ولن يعلمه.

إن سقطت ريشة من جناحي على الطريق عند الطيران،

فالرجاء أن تلتقطيها وتغرسيها في كعكة شعرك بالخطأ!

مما تخافين، يا صديقتي؟ أخال أنك ستطيرحينها أيضا فيما بعد.

هل تبكين وحيدة مثلي في مثل هذا الصباح المطري، يا زهرة الكاذيّ من الغاب؟

وهل تُقبّلينني سرا في الخيال في جوف اليل البهيم؟

ستؤرقك الأحلام، وتتفكرين في أمور كثيرة!

فتبكين مع الغمام، يا خُطّيفي!

إن الشاعر أحب فتاة في سفره لا يمكن معها الوصل. فيبين في الأبيات المذكورة اعلاه ما يمكن أن يحدث بعد البين والهجران والآلام التي يمكن أن يمر بها المتحابان بعد الفراق.

حبيبتي البعيدة، إني لم أظفر بك؛ ومن ثم هذا النحيب!

ويموج البحر؛ لأنه لا يجد الشاطئ!

ولو كنت وجدتك لتوقف الناي،

ولأتاني الحتف المفني.

تملئين صدري؛ لأني لم أجدك.

وترتفع أصوات الناي؛ لأن قلب الفلوت الخيزراني فارغ.

يبدو لنا أن هذه الأبيات مبنية على افكار خيالية وغير واقعية وعلى العاطفة؛ وإلا ستدل على أن الشاعر مغرض، إذ ليس الأمر كذلك، وحتى لو كان الأمر كذلك، لا يصارح به المحب لحبيبه. وكذلك البيت "ويموج البحر؛ لأنه لا يجد الشاطئ " يخالف الواقع؛ لأن البحر لا يمكن وجوده بدون شاطئ.

صديقتي، أنت لا تصحبينني؛ فلست قابلة الإمتاع،

بيد أنك تقربين من قلبي مقدار نأيك عني.

يعتبر الشاعر حبيبته نائية؛ لأنها مع قربها من محبها لا يمكن لها صحبته ولقاؤه كما يتلاقى المتحابان؛

ستوجدين مع الظل مثل المحبة في ليلة قمراء!

وتكونين معسولة قدر ما تكونين خفية، رغم عدم كلامك معي!

لا تصحبينني في الفراش، ولكنك تسكنين في عيني!

يا من تختفين عن مقلتي، يا من يعز صيده في الرؤيا!

أنت موجودة وأنا موجود: هذا منبع سروري.

أين أنت؟ كيف أنت، يا ملكتي؟

ما جدوى البحث عنه؟ فلا بأس ان أجهل ذلك!

وانا مغمور بسرور حبي!

لا أطلب القيام، فدع عمق النوم يبقى في عيني!

يصف الشاعر في الأبيات المذكورة اعلاه مكانة حبيبه في قلبه. فيقول إنه سيذكرها دائما ولن ينساها ابدا أينما سكنت، وإنما يسره مجرد بقائهما على قيد الحياة.

حينما أنام في الليل وحيدا، وينشدك صدري،

وعندما يصبح حزن الوحدة شديدا بالغا،

حينئذ سيكون روحي معك،

وقد أسكرته خمر الحزن،

وسأرسم في الخيال وجهك المنحوت من البدر!

ونظل متضامين في اليقظة والمنام،

وذلك هو مبعث فرحي المفرط!

لن يطمئن الشاعر بعد فراق حبيبه وسيكابد الآلام ويطاره شبحها دائما.

شمس النهار محمود حبيب الشاعر التي ألهمه حبها قصيدتي "الحبيب الخفية" و"الحبيبة المكتومة الاسم"

سأهزج بالأغاني، وتسمعينها من بعيد!

وإن وقفت، يجعلني دلالك أغني.

أنا فنان، أنا شاعر،

وأنت صورة مرسومة بيدي،

أنت شعر قرضته، وأنت أغان أنشأتها.

لن أطلب منك شيئا، بل سأظل أهبك بملء قلبي.

سيُسمع الشاعر حبيبه الأغاني عن بعد فراقها؛ لأنها مصدر الإلهام له. وهذا الكلام ايضا خيالي وغير واقعي؛ لأنه لا يمكن لحبيبه أن تسمع أغانيه من مكان بعيد جدا. ويجوز مثل هذا الكلام في المذهب الرومانسي.

أين مكان هذا الملتاع من الفراق في صدرك،

وما جدوى علمه؟ فمن يقوى على الوصول إلى قعر الخضم المتناهي القاع!

أنت حبيبة خفية هبطت إلى شعري وحبي،

سأظل أحيا بهذا الفرح، وما جدوى البحث عن الشاطئ؟

أنا طائر مغترب لا أزال أغني،

وإن لم أبن العش فلا بأس فيه.

وإن لا أجد الهدايا يوم أودعك، فلا حرج فيه،

أنت لن تذكريني، وذلك هو مكاني في قلبك!

ويوم تذكرينني عند سعيك لنسياني؛

في ذلك اليوم، يا حبيبي، سأقوم حيا عند نسيانك إياي، وذاك هو منشأ حياتي!

أنا كررت طلبي، ورددت الأغاني، وإن لم أجد أي عوض فلا حرج فيه! [5]

شيتاغونغ

26/7/28

في نهاية القصيدة، يسائل الشاعر حبيبته عن مكانته في قلبها، وهل له أي مكان خال في قلبها. ولكن يأمل أنها ستذكره عند محاولتها نسيانه. ويسره الأمل ويسعده.

رأينا في القصيدة أن الشاعر يصف في قصيدة "الحبيبة الخفية" نشدانه الحب بطريقة رائعة مؤثرة يندر نظيرها في شعر الحب. وتدل أبيات هذه القصيدة على أنه حاول الوصول إلى قلب حبيبه ولكن العادات والتقاليد السائدة في المجتمع المسلم البنغالي آنذاك لم تسمح بتحقق أمانيه. لم يلجأ الشاعر للتعبير عن الحب إلى الأساطير الهندوسية في هذه القصيدة بخلاف القصيدة السابقة.

تجاربنا عند ترجمة القصيدتين:

تدل القصيدتان البنغاليتان المذكورتان أعلاه على أن التعبير عن الحب ووصف المشاعر تجاه الحبيب يختلفان باختلاف اللغات والعادات والتقاليد والبيئات. ومن ذلك ينتج اختلاف الاسلوب الشعري في اللغتين العربية والبنغالية واللغات الأخرى. وقد واجهانا مشاكل عند ترجمتنا القصيدتين بسبب اختلاف العادات والتقاليد والبيئات العربية والبنغالية.

وعلاوة على ذلك، قد ترجمنا القصيدتين نثرا؛ لإننا لم نقدر على نقلهما إلى الضاد نظما. ففقدنا موسيقي النص الأصلي وجرس كلماته؛ فلو ترجمهما بالعربية نظما شاعر قدير يجيد اللغتين العربية والبنغالية، لكان أحسن ولتمتع بهما القراء أكثر.

..... ❖❖❖❖❖ .....

الهوامش:

[1] لمزيد من المعلومات عن حياة القاضي نذر الإسلام وشعره، يراجع: الأمان. 1981، ج 1، ص 575–587؛ وموخوفادّايْ. 1959، ص 19–225؛ ورسالتنا للدكتوراة المعنونة بـ"الرومانسية في الشعر العربي والشعر البنغالي: دراسة مقارنة"، ص 24–256 وسوبول تشوندرو ميترو. 1984.

[2] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, p. 383

[3] Rafiqul Islam. 2012, p. 690

[4] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, pp. 397-400

[5] *Nazruler Kabita Samagra*. 2000, pp. 394-396; Sonchita> 2013, pp. 128-131

مسرد الكلمات الغريبة:

1. الفُلوت: آلة نفخ موسيقية.
2. إيندْرو: ملك الآلهة في الأساطير الهندوسية.
3. بَهارْ: الربيع.
4. بُوْيسْنوبْ: جماعة دينية هندوسية.
5. تِلُتُّما: عذراء ـ في الأساطير الهندوسية ـ عديمة المثال في الجمال خلقها "بِشّوكورْما" حرفي الجنة أعضاءها المختلفة بأخذ كِسَرٍ من أجمل الكائنات في العالم.
6. روتي: زوجة إله الحب الهندوسي.
7. سِتارْ: آلة موسيقية وهي نوع من العود، تستخدم في الموسيقى الفارسية التقليدية.
8. شجرة الشهوات الإلهية: شجرة إلهية في قصر ملك الآلهة إيندرو تخمد جميع أنواع الشهوات دوما، حسب الأساطير الهندوسية.
9. قصائد ذاتية: قصائد تعبر عن أحاسيس الشاعر بإيجاز عادة وفي مقاطع أو أشكال معترف بها.
10. كامْ: إله الحب والشهوة حسب الأساطير الهندوسية.
11. كعكة شعر: شعر معقول في مؤخر رأس المرأة مثل الكعكة.

بيبلوغرافيا:

أولا: المراجع العربية:

- شفيق الإسلام. *الرومانسية في الشعر العربي والشعر البنغالي: دراسة مقارنة*. قدمت إلى قسم اللغتين العربية والفارسية، جامعة كلكتا، الهند، سنة 2018
- *القرآن الكريم*

- أنيس، دكتور إبراهيم ومنتصر، دكتور عبد الحليم والصوالحي، عطية وأحمد، محمد خلف الله. (1972). *المعجم الوسيط* (الطبعة الثانية). القاهرة، مصر: مجمع اللغة العربية.

ثانيا: المراجع البنغالية والإنكليزية:

- Al-Aman, Abdul Aziz: (1981). Nazrul Rochona Sombhar, Vol. 1. Kolkata, India: Haraf Prakashani.
- Ba'albaki, Munir: (1977). *Al-Mawrid*. Beirut, Lebanon: Dar el-Elm Lil-Malayēn.
- Misbah, Abu Tahir: (1990). *Al-Manar Adhunik Bangla-Arbi Obhidhan (Al-Manar Modern Bengali-Arabic Dictionary)*. Dhaka, Bangladesh: Muhammadi Library.
- Mitro, Subolchondro. (1984). *Sorol Bangala Obhidhan (Easy Bengali Dictionary)*. Kolkata, India: New Bengal Press.
- Mukhopadhyay, Arun Kumar: (1959). Rabindranusari kavisamaj, Kolkata, India: Dey's PUBLISHING
- Nazrul Islam, Kazi: (2013). *Sonchita (An Anthology of Selected Poems and Lyrics)*. Kolkata, India: D. M. Library.
- *Nazruler Kabita Samagra (Collected Poems of Kazi Nazrul Islam)*. (2015). Dhaka, Bangladesh: Nazrul Institute.
- Rafiqul Islam. (2012). *Kazi Nazrul Islam: Jiban o Srijan (Kazi Nazrul Islam: Life and Creations)*. Dhaka, Bangladesh: Nazrul Institute.
- *Samsad Bangla Abhidhan (Samsad Bengali Dictionary)*. (1984). Kolkata, India: Sahitya Samsad.
- *Samsad Bengali – English Dictionary*. (1995). Kolkata, India: Sahitya Samsad.